التعبير مفهومه وأهميته

تمهيد: يعتبر تعليم اللغة هدفا أساسا من أهداف إنشاء المدرسة في أية أمة من الأمم ولخدمة هذا الهدف أقيمت المدارس وأنشئت المراصد ، وسخرت الأموال والوسائل، وأُعِدَّ لذلك المعلّمون والأساتذة. وليس هذا إلاّ تأكيدا على قيمة اللغة، فهي وعاء المعرفة لذا يؤكد بعض الباحثين أمثال (OMBREDANE و GOLDSTEIN) على أنّ عدم امتلاك النظام اللغوي بشكل طبيعي يؤدّي بالضرورة إلى قصور معرفي [1] ، كما أنها تعتبر إرثا حضاريا ورافدا من روافد الثقافة المتصل بهوية الأمة وبعدها التاريخي الوطني.

ولعل هذا ما يفسر ذلك الاهتمام البالغ بكيفيات تدريس اللغات، فالبحوث اللسانية والنفسية والتربوية تضيف كل يوم معلومات جديدة حول كيفية فهم وتحليل النظام اللغوي البشري فهما عميقا واستخلاصه تبعا لذلك طرائق ومناهج وأساليب جديدة في عملية تدريس اللغة للوصول إلى الأهداف المتوخاة بأقصر الطرق وأقل المجهودات وبوسائل ناجعة تجعل المتعلمين يقدمون على العملية التعليمية، وهم يدركون أهميتها في حياتهم، من حيث حاجتهم إلى اللغة لتحقيق التواصل مع غيرهم في مجتمعاتهم.

ولاشك أننا كلما اقتربنا من طبيعة اللغة البشرية، كلّما وضعنا المتعلمين أمام وضعيات طبيعية يتفاعلون معها، فتحصل بها عندهم معرفة لغوية سليمة.

ومن طبيعة اللغة المشافه، فهي في أصلها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" [2]، لذا كان الانطلاق في تدريس اللغات من الأصل ألا وهو المشافهة، ويتم ذلك في حصص ونشاطات مدرسية تسمى بمسميات مختلفة كالتعبير أو التعبير الشفوي أو التعبير والمحادثة أو التعبير والتواصل.

لذا فقد وضعه معدّو البرامج والمناهج اللغوية بالمدرسة الجزائرية في المرتبة الأولى من حيث الاهتمام والإشارة والتناول بالتوضيح والشرح في الوثائق الصادرة عن وزارة التربية الوطنية.

مفهوم التعبير :

التعبير لغة: هو الإخبار عن شيء بآخر فقد جاء في اللسان "عبر الرّؤيا يعبرها عبرا وعبارة وعبّرها فسّرها و أخبر بما يؤول إليه أمرها" [3]، يقول الزمخشري في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَٰ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف43) وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول: عبرتُ النهر إذا قطعتَه حتى تبلغ آخرَ عرضِه وهو عَبْرُه. ونحوه: أوَّلتُ الرؤيا إذا ذكرتُ مآلها وهو مرجِعُها.

---

[1] Topé Gozé, l'intelligence en Afrique, Une étude du raisonnement expérimental. Paris: 1994, édition l'harmattan, P29-36.

[2] ابن جني، الخصائص، ط1. بيروت: 1999، ج1، دار الكتب العلمية، ص34.

[3] ابن منظور ، اللسان، ط1. بيروت: 1997، دار صادر للطباعة والنشر، مجل03، مادة: عبر.

وجاء في مفاتيح الغيب للفخر الرازي: ويقال عبرت الرؤيا أعبرها وعبرتها تعبيرا إذا فسّرتها، وحكى الأزهري أن هذا مأخوذ من العبر، وهو جانب النهر ومعنى عبرت النهر، والطريق قطعته إلى الجانب الآخر فقيل لعابر الرؤيا عابر، لأنه يتأمل جانبي الرؤيا فيتفكر في أطرافها وينتقل من أحد الطرفين إلى الآخر.

أو هو تفسير شيء غير واضح أصلا أو لم تكتمل معانيه، إذ أن الذهن لم يكن قد جمعها من قبل ، وعند التعبير هو يجمعها بعد شتات، لذا قال صاحب اللسان: "وعَبّرها وزَنَها دينارا دينارا...وتعبيرُ الدراهم وزْنُها جُملَةً بعْد التَّفاريق". [1]

فالتعبير معناه أن يجتمع شتاتُ الفكر في الألفاظ والعبارات التي كانت مُختزَنة فيه قبل الكلام، وهذا هو المعنى المقصود بقول صاحب القاموس المحيط حين قال:" وعبّر عمّا في نفسه أَعْرَبَ" [2] وزاد صاحبُ اللسان:"أعرب وبيّن... واللسانُ يُعبّر عما في الضمير"[3] والمقصود هنا أنّ التعبير هو فعل اللسان بالكلام وإعرابه عن الأفكار المختزنة في الضمير.

التعبير اصطلاحا:

تعددت النظرات وآراء الباحثين حول بيان مفهوم التعبير بشكل عام؛ فهو يعرّف بأنه" قدرة الإنسان على أن يتحدث في طلاقة وانسياب ووضوح، أو أن يكتب في قوة ووضوح وحسن عرض ودقة عمّا يجول بفكره وخاطره، وعمّا يدور بمشاعره وإحساساته؛ كل ذلك في تسلسل وتلاؤم وانسجام وترابط في الفكرة والأسلوب، ويعرّف أيضا بأنه نظام من الأصوات والكلمات والعبارات والجمل سواءً كان هذا التعبير كلامًا ملفوظاً أو مسموعاً أو مكتوباً أو تخيلاً وذلك لكل تعبير عن المعنى.

وينظر إلى التعبير من منظور تربوي منهجي مدرسي، فيعرف بأنه" العمل المدرسي المنهجي الذي يسير على وفق خطة متكاملة للوصول بالطالب إلى مستوى يمكنه من ترجمة أفكاره ومشاعره وأحاسيسه ومشاهداته وخبراته الحياتية شفاهاً وكتابة، بلغة سليمة على وفق نسق فكري معين.

ويعرّف التعبير بأنه" امتلاك القدرة على نقل الفكرة أو الإحساس الذي يعتمل في الذهن أو الصدر إلى السامع، وقد يتم ذلك شفوياً أو كتابياً على وفق مقتضيات الحال.

إذن التعبير هو القالب الذي يصب فيه الإنسان مشاعره، وأحاسيسه، وأفكاره أياً كانت، والتي يمكن أن يفصح عنها بشكل شفوي أو كتابي بحسب حاله، وميله ورغبته لما يمكن أن يحقق هدفه، شريطة أن يكون هذا التعبير مفهوماً يستطيع أن يستوعبه المتلقّي.

---

[1] المرجع السابق، مجل03، مادة: عبر.

[2] الفيروز ابادي ، القاموس المحيط، ط3. مصر: 1301هـ، 1398 هـ - 1978م، الهيئة المصرية العامة للكتاب نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية، ، ج2، ص 81.

[3] ابن منظور، اللسان، مجل03، مادة: عبر.

والتعبير في التعريف العام هو الإفصاح عن الأفكار والمشاعر والأحاسيس المختزنة في الذهن والنفس بكل وسيلة ممكنة، وهو بذلك يجمع كل أدوات ووسائل الاتصال لغوية كانت أو غير لغوية كالتعبير بالموسيقى والرسم والإشارات وباللغة المنطوقة أو المرسومة(المكتوبة).

أما في القواميس الحديثة فنجد في المعجم المفصل "التعبير: لفظ أو جملة أو أكثر، تستخدم للإفصاح عن الأمر" [1]. وعليه فالتعبير هو اللغة مُجسَّدَةً في كلام المتكلمين، وهو بهذا المفهوم الكلامُ نفسه، إذْ أنّه "فعل فردي إرادي واعٍ نميّز فيه:

1- علاقات بواسطتها يستعمل الفرد المتكلم قانون اللغة بغرض التعبير عن فكرته الشخصية.

2- الآلية النفسية الحركية Mécanisme psychophysique التي تسمح باستعمال تلك العلاقات"[2]

ومن ذلك نستنتج أن التعبير نشاط لغوي يكتسب المتعلم من خلاله العلاقات التي تنتظم حسبها العناصر اللغوية، و يهدف من خلاله المربّون في المدارس إلى حصول ما يسمى بالملكة اللّغوية بغرض التحكم في اللغة فهْمًا و استعمالا ، فالتعبير إذن هو استعمال اللغة وجريانها على ألسنة المتعلمين، "وهو غاية الغايات من تعلّم اللغة ...يهدف إلى تحقيق غايات وأهداف أخرى"[3].

---

[1] إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة و الأدب، ط1. مصر: 1987، دار العلم للملايين، ص428.

[2] Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, 2° édition, Algérie: 1994, Edition ENAG, P 30.

[3] سمير شريف استيتية، علم اللغة التعلمي، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، ص 141.